المغرب العربي: التعايش التاريخي بين العرب واليهود

د. شكري نجار

درج الكتّاب الصهيونيون والمتأثرون بهم على المبالغة في تصوير ألوان الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في مختلف أقطار العالم وعلى مدى التاريخ، فتجاهلوا الازدهار الذي شهده أبناء الطائفة اليهود في البلاد العربية، خلال العصور الوسطى، وحتى بعد قيام الدولة الاسرائيلية في بعض البلاد العربية. وفي عرضنا هذا، سنتناول أقطار المغرب العربي التي كانت من أهم المناطق التي أوت اليها الجالية اليهودية الفارّة من وجه الاضطهاد في اوروبا. وقد نتج عن ذلك أن بلغ عدد اليهود في المغرب حوالي نصف مليون نسمة، قبيل إنشاء اسرائيل. ولذلك، فإن دراسة أحوالهم ودورهم تستحق بعض العناية، لا سيما وأن الدراسات حول هذا الموضوع قليلة، بل نادرة، ربما عن قصد لتشويه هذه الظاهرة المنافية، أساساً، للادعاءات الصهيونية.

وفي هذا المجال، يحضرنا قول للعالم اليهودي، ابراهام هكلن، في كتابه: الانصهار العظيم: «كان اليهودي في العالم العربي يشعر بالكفاية والأمن والطمأنينة دون أن يحتاج إلى صهر شخصيته في سكان فلسطين وأرضها. في هذا العالم، كان اليهودي يحسّ أنه ينزل في وطنه ويقيم بين أهله. لقد كان آمنا ومطمئناً ومندمجاً في هذا العالم ومتفائلا بمستقبله. واختبارات اليهود خلال القرون التي ساد فيها الحكم العربي تشكّل مرحلة ذات مغزى ومعنى عظيمين من مراحل الانجازات العلمية والاجتماعية التي أنجزها أفراد الطائفة اليهودية»[١]. كما يحضرنا قول آخر لمؤرخ بريطاني يهودي كبير، نيقل باربور، يذكر فيه: «كان اليهود أسعد حالاً تحت الحكم الاسلامي منهم تحت الحكم المسيحي الأوروبي. واسبانيا تقدم مثلاً للمركز الممتاز الذي كان يتمتع به اليهودي في العالم الاسلامي»[٢]. هذا، فضلاً عن الشهادات في التسامح العربي حول المخالفين لمبدأ الدين أو العقيدة لصاحب السلطة في الحكم، والتي أتى على ذكرها كبار المؤرخين من غوستاف لوبون إلى أرنولد توينبي.